

هوية الفلسطينيين في إسرائيل:

هل هي فلسطينية – إسرائيلية؟

محمود ميعاري*

بلغ عدد الفلسطينيين في إسرائيل، داخل الخط الأخضر، نحو ٧٣٥ ألف نسمة سنة ١٩٩٠^١. وهم يمثلون نحو ثلث الفلسطينيين الذين يعيشون في وطنهم تحت الحكم الإسرائيلي. ويشكل هؤلاء الفلسطينيون أقلية قومية محلية، تحكمها أغلبية يهودية استيطانية (مستوطنون أو أبناء مستوطنين). وعلى الرغم من اعتبارهم، من الناحية القانونية، مواطنين إسرائيليين فإنهم يشكلون أقلية مضطهدة، غريبة في وطنها، ومستثناة من المشاركة الفعالة في حياة الدولة ورسم سياستها. إن تعريف إسرائيل كدولة يهودية صهيونية، كما يتضح ذلك في وثيقة الاستقلال وقانون العودة، يستثني عملياً غير اليهود من التمتع بالمواطنة الحقيقية في تلك الدولة، ويضعهم فيها بمرتبة مواطنين من الدرجة الثانية، أو من الدرجة الثالثة، هذا إذا أخذنا في الحسبان التمييز الذي يلاقيه اليهود الشرقيون أيضاً.

اهتم كثيرون من الباحثين الإسرائيليين بموضوع الهوية الجماعية لهذه الأقلية القومية. وتبنى عدد كبير منهم الاتجاه القائل إن العرب في إسرائيل بعد سنة ١٩٦٧، أخذوا يتجهون نحو التطرف (Radicalization). وقد انعكس التطرف من وجهة نظرهم بتعزز الهوية الفلسطينية، بالإضافة إلى عدد من المؤشرات الأخرى مثل: تضائل شعبية القادة "المعتدلين" (أي المتعاونين)، والقيام بإضرابات عامة، ورفض الطابع اليهودي والصهيوني للدولة، وتأثير منظمة التحرير الفلسطينية، وتأييد إقامة دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل.^٢ ومن

* أستاذ مساعد في دائرة علم الاجتماع في جامعة بيرزيت.

^١ هذا العدد لا يشمل سكان القدس العربية التي ضمتها إسرائيل إليها (نحو ١٤٠ ألف نسمة). أنظر: Israel Central Bureau of Statistics, Statistical Abstract of Israel (1991), No. 42, p. 42.

^٢ يتمثل هذا التيار، في الأساس، في كتابات إيلي ريخيس. أنظر: إيلي ريخيس، "عرفيي إسرائيل لأحار ١٩٧٦: هجرنا شيل هأورينتاسيا" ("عرب إسرائيل بعد ١٩٧٦: تفاقم مشكلة التوجه")، (تل أبيب: جامعة تل أبيب – معهد شيلواح، ١٩٧٦): إيلي ريخيس، "عرفيي إسرائيل فيهفكعت هكركعوت: ريكع ايردعيم، فيهشلخوت، ١٩٧٥ – ١٩٧٧" ("عرب إسرائيل ومصادرة الأراضي: خلفية الأحداث والانعكاسات، ١٩٧٥ – ١٩٧٧")، (تل أبيب: جامعة تل أبيب – معهد شيلواح، ١٩٧٧).

الواضح أن "التطرف" مفهوم نسبي، ويستخدمه أصحاب هذا الاتجاه بحسب المفاهيم والمعايير الإسرائيلية؛ فهو تطرف عن "الإجماع القومي" لدى اليهود في إسرائيل. من ناحية أخرى، فقد طور سامي سموحة اتجاهاً فكرياً مخالفاً يقول إن التسييس (Politicization) لا التطرف، هو المفتاح لفهم وضع العرب وعمليات التغيير لديهم. ويشمل تسييس العرب ثلاث عمليات اجتماعية في آن واحد هي: الأسرلة (Israelization)، والفئوية أو التجزؤ (Factionalization)، وتصعيد النضال (Militancy).^٢

تنعكس الأسرلة في ازدياد استخدام العرب للغة العبرية، بالإضافة إلى العربية، والتأثر بالثقافة الإسرائيلية أو اليهودية السائدة، من خلال وسائل عديدة أهمها: الإعلام، ومكان العمل، ومناهج التعليم، و"اعتبار أنفسهم جزءاً لا يتجزأ من إسرائيل".^٣ وتعني الفئوية انقسام العرب إلى أربعة تيارات سياسية هي: القابلون بالوضع القائم، والمتحفظون، والمعارضون، والرافضون. "وفي ضوء ازدياد الأسرلة والفئوية" بين العرب - يضيف سموحة - فإن النضال الذي يخوضونه "لا يعني رفض الهوية الإسرائيلية، بل تحدي الوضع القائم ومحاولة التفاوض على أسس جديدة للتعايش مع اليهود".^٤ وعلى عكس اتجاه التطرف الذي يرى أن هوية العرب أصبحت أكثر فلسطينية وأقل إسرائيلية في العقدين الأخيرين، فإن اتجاه التسييس يشدد على أن تركيبة جديدة للهوية، هوية فلسطينية - إسرائيلية، تنمو وتنتشر بين العرب.

في ضوء ما تقدم، نطرح من جديد الأسئلة التالية: كيف يعرف العرب في إسرائيل هويتهم اليوم؟ ما الوزن الذي يعطونه لأبعاد هذه الهوية، وخصوصاً لبعديها الفلسطيني والإسرائيلي؟ هل تبلورت لديهم فعلاً هوية فلسطينية - إسرائيلية؟ في هذه الدراسة سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة. لكن قبل ذلك، يجدر بنا توضيح مراحل مهمة في تطور هذه الهوية منذ قيام إسرائيل حتى اليوم.

^٢ Sammy Smooha, "The Arab Minority in Israel: Radicalization or Politicization?" *Studies in Contemporary Jewry*, Vol. 5 (1989), p. 63.

ولمزيد من التفاصيل أنظر أيضاً مؤلفي سموحة:

The Orientation and Politicization of the Arab Minority in Israel (Haifa, 1984); *Arabs and Jews in Israel*, Vol. 1, No. 1 (Boulder and London, 1988).

^٤ Smooha, "The Arab Minority in Israel: ...," *op.cit.*, p. 63.

^٥ *Ibid.*, p. 64.

تطور الهوية

كما أن هوية أي شخص أو جماعة قابلة للتغير، من فترة إلى أخرى، كذلك فإن هوية الفلسطينيين في إسرائيل لم تبقى ثابتة منذ قيام إسرائيل حتى اليوم، بل تطورت عبر مراحل ثلاث:^٦

المرحلة الأولى، ١٩٤٨ - ١٩٦٧

بعد "نكبة" ١٩٤٨، بقي في الجزء من فلسطين الذي أُقيمت إسرائيل عليه نحو سدس سكانه العرب فقط، وبالتحديد ١٦٠,٠٠٠ عربي في نهاية سنة ١٩٤٨.^٧ وحيث أن كل النخب الاجتماعية (السياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والدينية) التي كانت متمركزة في المدن قد نزحت خلال الحرب، فقد بقي العرب في إسرائيل من دون قيادة قطرية، باستثناء قيادة الحزب الشيوعي الإسرائيلي. هذا، بالإضافة إلى غياب قيادة موحدة لمختلف التجمعات الفلسطينية في الخارج، بعد سنة ١٩٤٨. وهكذا، وجد العرب في إسرائيل أنفسهم "بين عشية وضحاها" أقلية ضعيفة، غريبة في وطنها، ومعزولة عن بقية شعبها وأمتها.

لقد شددت السلطات الإسرائيلية سيطرتها على المواطنين العرب، وفرضت عليهم نظام الحكم العسكري الذي بقي سارياً حتى سنة ١٩٦٦. وبموجب هذا النظام، قُسمت القرى العربية إلى عدد من "المناطق المغلقة"، ومنع السكان العرب من التنقل بين هذه المناطق إلا بتصريح من الحاكم العسكري. وطبقت السلطات على المواطنين العرب السياسة الاستعمارية القديمة نفسها، سياسة "فرق تسد"؛ فعززت الانقسامات الداخلية بينهم، بحسب الدين والحمولة والمنطقة الجغرافية. ونجحت السلطات في تمزيق الأقلية العربية، وفي تقليص الاتصال والتفاعل الاجتماعي فيما بينها. وقد نتج من ذلك أن تعززت الهويات التقليدية الضيقة، وخصوصاً الحمايلية، وإن ركزت في المقابل الهوية الوطنية الفلسطينية. وليس غريباً، في مثل هذه الأوضاع، أن يتقبل المواطنون العرب الواقع الجديد، أو أن يستسلموا له، وأن يعرفوا

^٦ محمود ميعاري، "تطور الهوية السياسية للفلسطينيين في إسرائيل"، مجلة العلوم الاجتماعية (جامعة الكويت)، المجلد ١٤، العدد ١ (ربيع ١٩٨٦)، ص ٢١٥ - ٢٣٣.

^٧ Israel, Central Bureau of Statistics, *Statistical Abstract of Israel* (1991), No. 42, p. 42.

أنفسهم بمصطلحات القاموس الإسرائيلي. ففي بحث أجراه يوحنا بيرس ونيرا يوفال - ديفس في شأن هوية العرب في إسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ وبعدها، وجدوا أن ترتيب الهويات، من الأقوى إلى الأضعف، كان قبل الحرب: إسرائيلي، عربي - إسرائيلي، عربي، وأخيراً فلسطيني.^٨

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: ما الذي يعنيه العربي في إسرائيل عندما يعرف نفسه بأنه إسرائيلي، أو عربي - إسرائيلي؟. لقد حاول نديم روحانا الإجابة عن هذا السؤال، فميز نظرياً بين ثلاثة مستويات لـ "إسرائيلية" (Israeliness) العرب: الأول، المستوى القانوني الرسمي الناجم عن كون العرب مواطنين في دولة إسرائيل؛ الثاني، المستوى القيمي الناتج من تأثير العرب بالقيم السائدة في المجتمع الإسرائيلي؛ أما المستوى الثالث، وهو الأهم، فهو المستوى النفسي الشعوري الناجم عن التماثل (Identification) مع دولة إسرائيل وأهدافها ورموزها (مثل الشعار والعلم والنشيد). ورداً على سؤال وجهه روحانا إلى عينة من قادة السياسيين العرب عن معنى البعد الإسرائيلي في هويتهم، ذكر القسم الأكبر منهم تفسيرات تتعلق بالمستوى القانوني الرسمي. أي أن البعد الإسرائيلي يعني، بالنسبة إلى معظمهم، السكن أو الإقامة أو المواطنة في دولة إسرائيل، وما نجم عن ذلك من التزام تجاه قوانين هذه الدولة والتفاعل مع مؤسساتها ومواطنيها.^٩ ويبدو أن هذا التفسير (القانوني الرسمي) للبعد الإسرائيلي في هوية العرب ينطبق، أيضاً، على الفترة التي سبقت حرب ١٩٦٧. أي أن تعريف العرب لأنفسهم في هذه المرحلة كـ "عرب - إسرائيلي" وهي الهوية التي نماها النظام الجديد، لا يعني إنهم تماثلوا مع دولة إسرائيل وأهدافها ورموزها: فقد وجد يوحنا بيرس ونيرا يوفال - ديفس، في البحث المشار إليه أعلاه، أن ٦٠٪ من العينة التي درسها في سنة ١٩٦٦ اعتقدوا أنه "ينبغي للعرب أن يحاربوا إسرائيل" (١٨٪ قالوا ذلك من دون تحفظ، و٤٢٪ اعتقدوا ذلك إذا لم تستجب إسرائيل لحقوق العرب).^{١٠}

^٨ Y. Peres, and N. Yuval-Davis, "Some Observations on the National Identity of the Israeli-Arab," *Human Relations*, 22 (November 1969), pp. 219-233.

^٩ Nadim Rouhana, "Palestinization among the Arabs in Israel: The Accentuated Identity," A Paper presented in a conference on Arab Minority in Israel, held by Dayan Institute, Tel Aviv University, June 1991.

^{١٠} Peres and Y.-Davis, "Some Observations on the National Identity..." *op.cit.*, p. 231.

وهكذا، فإن سيطرة البعد الإسرائيلي أو العربي - الإسرائيلي على الهوية، في هذه المرحلة، لا يعني تماثل العرب شعورياً مع الدولة اليهودية، أو انصهارهم ثقافياً في المجتمع الإسرائيلي، بل يعني قبولهم، أو استسلامهم، بالوضع القانوني الجديد (باعتبارهم مواطنين عرباً في دولة إسرائيل)، ورغبتهم في استغلال هذا الوضع (أي المواطنة) لتحسين أوضاع حياتهم اليومية (عمل، تعليم، خدمات... إلخ). إن تعزز الهويات التقليدية الضيقة، بالإضافة إلى الانقطاع عن العالم العربي والشعور بالإحباط للذين عقبوا هزيمة العرب في حرب ١٩٤٨، قد ساهم في تعزيز البعد الإسرائيلي في هوية المواطنين العرب، في هذه المرحلة. ففي دراسة سابقة في شأن العلاقة بين هويات العرب في إسرائيل، وجد هناك تناسب طردي بين هوياتهم التقليدية (الحمائية، المحلية، الطائفية) وبين هويتهم الإسرائيلية، وتناسب عكسي بين هذه الهويات وهويتهم الفلسطينية.^{١١}

ينعكس انتشار هوية "العربي - الإسرائيلي"، في هذه المرحلة، بسلوك المواطنين العرب خلال انتخابات الكنيست. فقد شارك في عملية الانتخابات، بين سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٦٥، ما نسبته ٨٦٪ - ٩٢٪ من العرب أصحاب حق التصويت. كما صوتت الأغلبية الساحقة من الناخبين العرب (٧٦٪ - ٨٤٪) للأحزاب الصهيونية، وخصوصاً حزب ماباي والقوائم العربية المرتبطة به، وصوتت أقلية صغيرة فقط (١٦٪ - ٢٤٪) للحزب الشيوعي، وهو الحزب غير الصهيوني الوحيد في ذلك الوقت (أنظر الجدول رقم ١). وعلى الرغم من تطبيق نظام الحكم العسكري على الأقلية العربية، وإضعاف هذه الأقلية، وإحكام تبعيتها الاقتصادية للقطاع اليهودي، فلا يصح استنتاج بعض الباحثين "أنه لا يمكن اعتبار السلوك الانتخابي، خاصة في هذه الفترة، مؤشراً على المواقف السياسية للعرب."^{١٢} إن تصويت العرب لأحزاب صهيونية قد لا يكون مؤشراً على البعد القومي الوطني في هويتهم، لكنه بالتأكيد يشير إلى البعد الإسرائيلي في تلك الهوية؛ إنه يشير إلى تقبلهم للواقع السياسي الجديد، وإلى اعتبار أنفسهم - قانونياً على الأقل - مواطنين في دولة إسرائيل.

^{١١} Mahmoud Mi'ari, "Traditionalism and Political Identity of Arabs in Israel," *Journal of Asian and African Studies*, 22, Nos. 1-2 (1987), pp. 33-44.

^{١٢} عزيزي حيدر، "أشكال التعبير السياسي بين الفلسطينيين العرب في إسرائيل"، *مجلة العلوم الاجتماعية* (جامعة الكويت)، المجلد ١٨، العدد ١ (ربيع ١٩٩٠)، ص ١٧.

المرحلة الثانية، ١٩٦٧ - ١٩٧٣

مع أن هوية "العربي - الإسرائيلي" قد سيطرت بصورة عامة في المرحلة الأولى، فإنه في أواخر تلك المرحلة ومع تصاعد الحركة القومية العربية بزعامة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، أخذت تتعزز بين الفلسطينيين في إسرائيل هويتهم العربية. وقد تمثل ذلك في ظهور حركة "الأرض" في أوائل الستينات، كحركة قومية ناصرية دعت إلى حق تقرير المصير للفلسطينيين "في نطاق الأمانى العليا للأمة العربية". ولقد فسر حبيب قهوجي، أحد مؤسسي الحركة، العبارة الأخيرة إذ قال: "كنا نقصد بعبارة (في نطاق الأمانى العليا للأمة العربية) أن نؤكد على وحدة المصير بين شتى أقطار الوطن العربي وعلى قومية القضية، فالقضية في رأينا فلسطينية بقدر ما هي قومية وقومية بقدر ما هي فلسطينية."^{١٣} أما بالنسبة إلى مصير حركة الأرض، فقد أصدر وزير الدفاع الإسرائيلي أمراً بحلها سنة ١٩٦٥، بدعوى أنها تشكل خطراً على أمن الدولة.^{١٤}

^{١٣} حبيب قهوجي، "القصة الكاملة لحركة الأرض" (١٩٧٨)، ص ٣٣ - ٣٤.

^{١٤} "هآرتس"، ١٩٦٧/١/٥.

الجدول رقم ١
توزيع الأصوات العربية في انتخابات الكنيست بين الأحزاب المختلفة
١٩٤٩ - ١٩٨٨ (نسب مئوية)

الأحزاب الصهيونية الأخرى	القوائم العربية المرتبطة بالتجمع	حزب التجمع، العمل	الحزب العربي الديمقراطي	القائمة التقدمية	الحزب الشيوعي أو الجبهة	نسبة المصوتين من مجموع أصحاب حق التصويت	
١٦	٥٢	١٠			٢٢	٧٩	الكنيست الأولى ١٩٤٩/١/٢٥
١٢	٥٥	١٧			١٦	٨٦	الكنيست الثانية ٥١/٧/٣٠
٦	٥٨	٢٠			١٦	٩٢	الكنيست الثالثة ٥٥/٧/٢٦
١٠	٥٩	٢٠			١١	٨٩	الكنيست الرابعة ٥٩/١٢/٣
٧	٤٦	٢٥			٢٢	٨٦	الكنيست الخامسة ٦١/٨/١٥
١٤	٤٣	١٩			٢٤	٨٨	الكنيست السادسة ٦٥/١١/٢
١٥	٤١	١٤			٣٠	٨٢	الكنيست السابعة ٦٩/١٠/٢٨
١٧	٣٦	١٠			٣٧	٨٠	الكنيست الثامنة ٧٣/١٢/٣
١٩	٢٢	٩			٥٠	٧٦	الكنيست التاسعة ٧٧/٥/١٧
٢٣	٢٣	٢٦			٣٨	٧٠	الكنيست العاشرة ٨١/٦/٣٠
٢٥		٢٤		١٨	٣٣	٧٢	الكنيست الحادية عشرة في ٨٤/٧/٢٣
٢٥		١٦	١٠	١٥	٣٤	٧٦	الكنيست الثانية عشرة في ٨٨/١١/٢

المصدر: محمود معاري، "تطور الهوية السياسية للفلسطينيين في إسرائيل"، "مجلة العلوم الاجتماعية"، مجلد ١٤، عدد ١ (ربيع ١٩٨٦)، ص ٢٢٦. نتائج انتخابات سنة ١٩٨٨

أخذت من صحيفة "الاتحاد" (حيفا)، ٣ - ٤/١١/١٩٨٨.

مع بدء المرحلة الثانية، تعمقت الهوية القومية للعرب في إسرائيل بفضل حدثين رئيسيين هما: إلغاء الحكم العسكري سنة ١٩٦٦، ونشوب حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧. بالنسبة إلى الحكم العسكري، فقد كان إلغاؤه جزءاً من سياسة معلنة جديدة، تهدف إلى دمج المواطنين العرب في حياة الدولة. إن إلغاء الحكم العسكري، وخصوصاً قيود التنقل بين القرى العربية، قد نشط الاتصال والتفاعل الاجتماعي بين مختلف القطاعات، الأمر الذي زاد في وعي المواطنين العرب لمشكلاتهم المشتركة، وخصوصاً مصادرة الأراضي وسياسة التمييز التي تمارسها السلطات ضدهم في مختلف الميادين. أما حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧، فقد أنهت العزلة التي فرضت منذ سنة ١٩٤٨، ففتحت الطريق أمام العرب في إسرائيل للاختلاط مع أبناء شعبهم في الأراضي المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة)، وللتعرف من خلال هؤلاء على التيارات الاجتماعية والفكرية السائدة في العالم العربي. وهكذا، فإن تأثير العالم العربي في العرب في إسرائيل قد ازداد، في هذه المرحلة، بسبب الاتصال المباشر الذي تم مع الضفة والقطاع.

إن ازدياد الاتصال والتفاعل بين العرب في إسرائيل، وكذلك بينهم وبين بقية أبناء شعبهم وأمتهم، قد عمق هويتهم القومية العربية، وأنعش هويتهم الوطنية الفلسطينية. وفي البحث المشار إليه سابقاً، وجد يوحنا بيرس ونيرا يوفال - ديفس أن ترتيب الهويات بالنسبة إلى العرب في إسرائيل قد أصبح، بعد حرب ١٩٦٧، (من الأقوى إلى الأضعف) كالتالي: عربي، عربي - إسرائيلي، فلسطيني، وأخيراً إسرائيلي.^{١٥} لقد انعكس تغير الهوية في هذه المرحلة، ولا سيما تراجع البعد الإسرائيلي فيها، بتقلص نسبة العرب الذين شاركوا في انتخابات الكنيست (٨٢٪ سنة ١٩٦٩، و ٨٠٪ سنة ١٩٧٣)، وبتقلص نسبة المصوتين للأحزاب الصهيونية (٧٠٪ سنة ١٩٦٩، و ٦٣٪ سنة ١٩٧٣)، وبارتفاع نسبة المصوتين للحزب الشيوعي (٣٠٪ و ٣٧٪ على التوالي)، بالمقارنة مع معارك الانتخابات السابقة.

المرحلة الثالثة، بعد سنة ١٩٧٣

^{١٥} Peres and Y.-Davis, "Some Observations on the National Identity...", op.cit., p.

بعد حرب تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣، بدأت مرحلة جديدة في تطور الهوية الفلسطينية، أو العربية الفلسطينية، وفي الأساس بفضل تطورات حدثت على الساحة الفلسطينية كان أهمها:

(أ) اتساع الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية، وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. وقد انعكس ذلك بقبول منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٧٤ عضواً مراقباً في الأمم المتحدة؛

(ب) تشديد السلطات الإسرائيلية قبضتها الحديدية ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وتصعيد اعتداءاتها على مخيمات اللاجئين في لبنان. وقد وصلت هذه الاعتداءات إلى ذروتها في الغزو الإسرائيلي للجنوب اللبناني سنة ١٩٨٢؛
(ج) ارتكاب "الأخوة" العرب الكثير من المجازر ضد الفلسطينيين، كان أشعها مجازر صبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢ التي ارتكبتها عصابات الكتائب بدعم من الجيش الإسرائيلي؛

(د) عجز الأنظمة العربية عن إيقاف المجازر والاعتداءات السابق ذكرها بحق الشعب الفلسطيني.

بالإضافة إلى هذه التطورات الخارجية، فقد حدثت في العقدين الأخيرين تطورات مهمة في البنية الاجتماعية للعرب في إسرائيل، ساهمت في تعزيز هويتهم الوطنية. أما أهم هذه التطورات فهو:

(أ) ازدياد تحول الفلاحين العرب إلى عمال مأجورين في المدن اليهودية. فقد انخفضت نسبة العاملين في الزراعة، من مجموع الأيدي العاملة العربية، من ٥٠٪ سنة ١٩٥٥ إلى ٤٠٪ سنة ١٩٧٥، و ٢٠٪ سنة ١٩٧٣، و ١٠٪ سنة ١٩٨٣، وإلى أقل من ذلك اليوم. ولقد ساهم في هذا التحول عوامل عديدة أهمها: مصادرة الأراضي العربية، وتفتت الملكية بسبب تقسيمها بين الورثة، وانخفاض إنتاجية الزراعة العربية البعلية. إن تحول المزارعين العرب إلى عمال، ولا سيما في قطاع البناء، في المدن اليهودية، قد أضعف ارتباطهم بالأطر الاجتماعية التقليدية، وخصوصاً الحمولة، وعرضهم للكثير من مظاهر التمييز ضدهم في سوق العمل الإسرائيلية، وبذلك يكون قد عمق وعيهم الوطني؛

(ب) اتساع شريحة المتعلمين، وخصوصاً خريجي الجامعات. فقد بلغ عدد خريجي الجامعات العرب سنة ١٩٨٨، نحو عشرة آلاف خريج (في مقابل ٣٥٠ خريجاً سنة ١٩٦٠). هذا بالإضافة إلى نحو أربعة آلاف طالب في الجامعات والمعاهد العليا

في البلد والخارج.^{١٦} إن انضمام نحو ٤٢٪ من الخريجين العرب إلى سوق البطالة (عاطلين عن العمل، أو يعملون في أعمال بعيدة عن تخصصهم)،^{١٧} قد عمّق اغترابهم عن المجتمع الإسرائيلي. وهكذا، فإن اتساع هذه الشريحة، المتميزة بوعيها الوطني، وبمكائنها المرتفعة في مجتمعها، قد ساهم في انتشار الوعي الوطني الفلسطيني لدى الجماهير العربية في إسرائيل؛

ج) ظهور تنظيمات عربية قطرية تدافع عن حقوق العرب، وتقاوم سياسة التمييز التي تمارسها السلطة ضدهم. إن أهم هذه التنظيمات هو لجنة رؤساء السلطات المحلية العربية التي أُلّفت سنة ١٩٧٤، لمعالجة قضايا محلية. لكن سرعان ما اتسعت اهتماماتها لتشمل أيضاً قضايا قطرية، مثل مصادرة الأراضي ومشكلات التعليم العربي. وفي سنة ١٩٧٥، أُلّفت اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي، بهدف مقاومة مصادرة الأراضي العربية. وكذلك أسس الاتحاد القطري للطلاب الثانويين العرب سنة ١٩٧٤، واتحاد طلاب الجامعات العرب سنة ١٩٧٥. وبالإضافة إلى هذه الأطر التمثيلية، فقد ظهرت في السبعينات من هذا القرن حركات سياسية ذات نزعة انفصالية عن المجتمع الإسرائيلي، أهمها حركة "أبناء البلد" والحركة الإسلامية. و"أبناء البلد" حركة وطنية فلسطينية تهدف إلى "توحيد الوطن وإقامة نظام اشتراكي" فيه،^{١٨} ولذلك فإنها لا تعترف بـ"الكيان الإسرائيلي"، وهي تدعو المواطنين العرب إلى مقاطعة انتخابات الكنيست. أما الحركة الإسلامية، وهي أيضاً لا تعترف بـ"الكيان الإسرائيلي" وتقاطع انتخابات الكنيست، فإنها ترى أن الحل الأمثل للقضية الفلسطينية هو إقامة دولة إسلامية في فلسطين كلها.^{١٩} هذه التنظيمات العربية، بالإضافة إلى الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (١٩٧٧)، والقائمة التقدمية للسلام (١٩٨٤)، وهما حزبان يؤمنان بالنضال العربي اليهودي المشترك، قد ساهمت في تعميق الوعي الوطني الفلسطيني بين العرب في إسرائيل.

بفضل هذه التطورات الخارجية والداخلية، تعززت الهوية الفلسطينية بين الجماهير العربية في إسرائيل، وتراجعت في المقابل هويتهم الإسرائيلية. وفي بحث

^{١٦} "الاتحاد" (حيفا)، ٣٠/١١/١٩٨٨.

^{١٧} المصدر نفسه.

^{١٨} حركة أبناء البلد، "مشروع البرنامج السياسي" (١٩٨٣)، ص ٣٠.

^{١٩} محمود ميعاري، "الحركة الإسلامية في إسرائيل"، شؤون فلسطينية، العدد ٢١٥ - ٢١٦ (شباط [فبراير] - آذار [مارس] ١٩٩١)، ص ٣ - ١٥.

ميداني أجريناه سنة ١٩٧٦ على عينة ممثلة لخريجي الجامعات العرب، تبين ترتيب الهويات لديهم، من الأقوى إلى الأضعف، كالتالي: عربي، فلسطيني، عربي - إسرائيلي، وأخيراً إسرائيلي.^{٢٠} وهناك دراسات أخرى أثبتت بوضوح تعزز الهوية الفلسطينية منذ أواسط السبعينات، وخصوصاً في الثمانينات من هذا القرن.^{٢١} وعلى عكس الإسرائيلية، التي تعني بالنسبة إلى العرب السكن أو الإقامة أو المواطنة في دولة إسرائيل، فإن الهوية الفلسطينية تعني لهم، في الأساس، التماثل مع الشعب الفلسطيني وقضيته وطموحاته.^{٢٢}

ينعكس تعزز الهوية الفلسطينية، في هذه المرحلة، بتقلص نسبة العرب الذين شاركوا في انتخابات الكنيست من ناحية، وازدياد نسبة المصوتين للأحزاب غير الصهيونية من ناحية أخرى. وبين سنة ١٩٧٧ و سنة ١٩٨٨، شارك في انتخابات الكنيست ٧٠٪ - ٧٦٪ فقط من العرب أصحاب حق التصويت، وصوّت القسم الأكبر من هؤلاء للقوائم غير الصهيونية والمؤيدة لإقامة دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب إسرائيل؛ أي الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، والقائمة التقدمية للسلام والحزب العربي الديمقراطي (٥٠٪ سنة ١٩٧٧، ٣٨٪ سنة ١٩٨١، ٥١٪ سنة ١٩٨٤، ٥٩٪ سنة ١٩٨٨) (انظر الجدول رقم ١).

الهوية في عهد الانتفاضة

تشير نتائج بحث أجريناه في سنة ١٩٨٨ على ٣١٣ طالباً ثانوياً، يشكلون عينة ممثلة لطلاب صفوف الثاني عشر في المدارس العربية في إسرائيل، إلى أن أكثر الهويات انتشاراً بين الفلسطينيين في إسرائيل الهويتان العربية والفلسطينية، تليهما

^{٢٠} المصدر نفسه، ص ٢٢٨. أنظر أيضاً:

Mahmoud Meari (Mi`ari), *Identity of Arab Academics in Israel* (Jerusalem: Israel Institute of Applied Social Research, 1978).

^{٢١} أنظر مثلاً:

Nadim Rouhana, *The Arabs in Israel: Psychological, Political and Social Dimensions*

of Collective Identity, PH D. Dissertation (Detroit, Michigan: Wayne State University, 1984); Smooha, "The Arab Minority in Israel:....," *op.cit.*;

محمود ميعاري، "الفلسطينيون في إسرائيل: هوية وتعايش"، "آفاق فلسطينية" (جامعة بير زيت)، العدد ٥ (صيف ١٩٩٠).

^{٢٢} Rouhana, "Palestinization among the Arabs in Israel:...., *op.cit.*, p. 25.

الهويات التقليدية (المحلية، الحمائلية، الدينية)، وأخيراً تأتي الهوية الإسرائيلية. وهذا يعني أن العرب في إسرائيل يشعرون بالانتماء إلى الأمة العربية وإلى الشعب الفلسطيني، أكثر من شعورهم بالانتماء إلى الجماعات التقليدية - مكان السكن والحمولة والطائفة الدينية - وأكثر كثيراً من شعورهم بالمواطنة في دولة إسرائيل (أنظر الجدول رقم ٢).

الجدول رقم ٢

هويات العرب في إسرائيل، ١٩٧٦ و ١٩٨٨
(نسب الذين أجابوا يشعر "كثيراً جداً" أو "كثيراً")

الهويات أو أبعاد الهوية	١٩٧٦ (عينة خريجي جامعات)	١٩٨٨ (عينة طلاب مدارس ثانوية)
يشعر أنه عربي	٩١	٨٥
يشعر أنه فلسطيني	٧٦	٨٣
يشعر أنه إسرائيلي	٢٣	٧
يشعر أنه عربي - إسرائيلي	٢٣	٧
يشعر أنه ينتمي إلى مدينته أو قريته	٥٣	٧٤
يشعر أنه ينتمي إلى حمولته	١٣	٦٣
يشعر أنه ينتمي إلى ديانتته	٢٩	٧٠

المصدر: محمود ميعاري، "الفلسطينيون في إسرائيل: هوية وتعايش"، "آفاق فلسطينية" (جامعة بيرزيت)، العدد ٥ (صيف ١٩٩٠)، ص ٦١.

* أجاب الباقيون بأنهم يشعرون بدرجة "متوسطة" أو "قليلاً" أو "قليلاً جداً".

وإذا قابلنا نتائج هذا البحث ببحث سابق أجريناه سنة ١٩٧٦ على ٢٩٣ خريجاً جامعياً، يشكلون عينة ممثلة لخريجي الجامعات العرب، مع تحفظنا من هذه المقابلة بسبب اختلاف العينة، فإننا نرى أن ترتيب الهويات، من الأقوى إلى الأضعف، لم يتغير كثيراً؛ إذ بقيت الهويتان العربية والفلسطينية أقوى الهويات، تليهما الهويتان المحلية والدينية. من ناحية أخرى، طرأ بعض التغيرات على ترتيب الهويات، فقد ارتقت الهوية الفلسطينية في بحث الطلاب الثانويين إلى المرتبة الأولى مع الهوية العربية، فأصبحت الهويتان متساويتين تقريباً في انتشارهما (٨٣٪، ٨٥٪). كذلك تراجعت الهوية الإسرائيلية إلى ما وراء الهوية الحمائلية، وهبطت بذلك إلى المرتبة الأخيرة في تدرج الهويات. وهكذا، فإن هذه المقابلة، مع تحفظنا إزاءها، تشير إلى أن

الهوية الفلسطينية في عهد الانتفاضة أقوى مما كانت عليه في أواسط سنوات السبعينات.

ومع أن المواطنين العرب يشعرون اليوم، في أغلبيتهم الساحقة، بأنهم فلسطينيون وعرب في آن واحد، فإن انتماءهم الفلسطيني أصبح الأهم في نظرهم. فرداً على سؤال "لو كنت خارج البلاد وسئلت من أنت، ماذا كنت تجيب؟" أجاب أغلب (٥٥٪) الذي شملهم بحث الطلاب الثانويين سنة ١٩٨٨: "فلسطيني"، في مقابل نسبة قليلة من الذين شملهم بحث خريجي الجامعات (٢٢٪) أجابت الجواب نفسه سنة ١٩٧٦. وإذا ما قابلنا هذه النتائج بنتائج بحث أجراه نديم روحانا سنة ١٩٨٢ على عينة طبقية منتظمة تتكون من ٤٤٨ مواطناً عربياً بالغا في إسرائيل،^{٢٣} لبدأ أن الانتماء الفلسطيني في السنوات الأخيرة أقوى مما كان عليه في أوائل الثمانينات أيضاً (أنظر الجدول رقم ٣).

الجدول رقم ٣
الهوية الرئيسية للعرب في إسرائيل،
أعوام ١٩٧٦ و ١٩٨٢ و ١٩٨٨ (نسب مئوية)

الهوية الرئيسية	١٩٧٦ عينة خريجي جامعات	١٩٨٢ عينة بالغين (بحث روحانا)	١٩٨٨ عينة طلاب مدارس ثانوية
فلسطيني	٢٢	١١,٣	٥٥
عربي - فلسطيني	١٨	٥٧,٠	١١
عربي	٣٤	٦,٩	١٤
إسرائيلي	٣	٠,٥	٨
عربي - إسرائيلي	١٦	١٨,٢	٣
فلسطيني - إسرائيلي	٤	٦,١	٤
غير ذلك	٣	-	٥
المجموع %	١٠٠	١٠٠	١٠٠
العدد	٢٩٣	٤٤٨	٣١٣

المصدر: محمود ميعاري، "الفلسطينيون في إسرائيل: هوية وتعايش"، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣.

Nadim Rouhana, *The Arabs in Israel: Psychological, Political and Social Dimensions of Collective Identity*, Ph.D. Dissertation (Detroit, Michigan: Wayne State University, 1984), p. 112.

^{٢٣} Ibid.

يتضح مما تقدم أن شعور المواطنين العرب بالانتماء إلى الشعب الفلسطيني أقوى، في عهد الانتفاضة، مما كان عليه في سنوات السبعينات وأوائل الثمانينات. لكن هل يُعتبر هذا الشعور خلال الانتفاضة أقوى من ذلك الذي ساد عشية قيامها؟ بمعنى آخر: هل أثرت الانتفاضة في الضفة والقطاع في هوية الفلسطينيين في إسرائيل؟ تشير نتائج بحث الطلاب الثانويين إلى أن الشعور العام لدى الذين شملهم البحث هو أن الانتفاضة قد أثرت في هويتهم، وخصوصاً في مركبها الفلسطيني والإسرائيلي، فعززت الأول وأضعفت الثاني. ويوضح الجدول رقم ٤ أن الأغلبية الساحقة من طلاب المدارس الثانوية العربية في إسرائيل (٨٣٪) تعتقد أن هويتها الفلسطينية قد تعززت، وأن أغلبية أخرى (٧١٪) تعتقد أن هويتها الإسرائيلية قد تراجعت خلال الانتفاضة. أما بالنسبة إلى الهويات التقليدية، فيشعر القسم الأكبر من الطلاب الثانويين بأن هذه الهويات بقيت كما كانت عليه قبل الانتفاضة.

الجدول رقم ٤

تغير هويات الشباب الفلسطيني في إسرائيل خلال الانتفاضة
بحسب تقدير المبحوثين أنفسهم، ١٩٨٨ (نسب مئوية)

الهوية	زاد	بقي كما كان	قل	المجموع	العدد
شعورك أنك عربي	٥٢	٤٤	٤	١٠٠	٢٩١
شعورك أنك فلسطيني	٨٣	١٥	٢	١٠٠	٣٠٠
شعورك أنك إسرائيلي	٥	٥٣	٤٢	١٠٠	٢٩٩
شعورك أنك عربي - إسرائيلي	٣	٢٦	٧١	١٠٠	٣٠١
شعورك بالانتماء إلى مدينتك أو قريرتك	٤٨	٤٨	٤	١٠٠	٢٩١
شعورك بالانتماء إلى حمولتك	٢٥	٦٧	٨	١٠٠	٢٩٥
شعورك بالانتماء إلى ديارتك	٣٥	٥٧	٨	١٠٠	٢٩١

المصدر: محمود ميعاري، "الفلسطينيون في إسرائيل: هوية وتعايش"، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل شعور العرب بأن هويتهم الفلسطينية قد تعززت خلال الانتفاضة يعكس، فعلاً، تغيراً حقيقياً في هذه الهوية؟ إننا لا نستطيع الإجابة بصورة مطلقة عن هذا السؤال بسبب عدم توفر بيانات ملائمة عشية الانتفاضة. لكن سامي سموحة، وهو أستاذ علم اجتماع في جامعة حيفا، يعتقد أن هوية الفلسطينيين في إسرائيل لم تتغير موضوعياً بين سنة ١٩٨٥ وسنة ١٩٨٨. من ناحية أخرى، يؤكد سموحة أنه في عهد الانتفاضة ازداد تسييس العرب في إسرائيل،

وتعاطف تضامنهم مع شعبهم الفلسطيني في الضفة والقطاع.^{٢٤} وسواء كان التضامن مع الشعب الفلسطيني مؤشراً للهوية الفلسطينية كما نعتقد، أو كان مؤشراً لمتغير آخر كما يعتقد سموحة، فقد انعكس هذا التضامن بإعلان بضعة أيام إضراب، وتنظيم الكثير من المسيرات والاجتماعات الشعبية، وجمع التبرعات المالية، وشحن المواد الغذائية والتموينية والطبية لإغاثة الجماهير الفلسطينية المشاركة في الانتفاضة، في الضفة الغربية وقطاع غزة.

الهوية الوطنية والانتماءات التقليدية

سنوضح الآن كيف أن الهوية الوطنية أصبحت اليوم أكثر شمولية وانتشاراً، إذ نفذت أيضاً إلى الأطر التقليدية الضيقة (المدينة أو القرية، الحمولة، الطائفة الدينية). في سنوات السبعينات وقبلها أيضاً، تعارضت الهوية الفلسطينية مع الانتماءات التقليدية المذكورة. وقد أثبت بحث خريجي الجامعات العرب (١٩٧٦)، المشار إليه سابقاً، ارتباط الهويات التقليدية عكسياً بالبعد الفلسطيني في هوية العرب في إسرائيل، وطردياً بالبعد الإسرائيلي في تلك الهوية. وهذا يعني أن العرب التقليديين في تلك الفترة، أي الذين تعزز انتمائهم إلى الأطر التقليدية، شعروا أقل من غيرهم بالانتماء إلى الشعب الفلسطيني، وشعروا أكثر من غيرهم بأنهم مواطنون في دولة إسرائيل. بكلمات أخرى: إن الانتماءات التقليدية الضيقة قد أعاققت في سنوات السبعينات انتشار الوعي الفلسطيني، ودفعت العرب إلى تقبل الأمر الواقع. في السنوات الأخيرة، تلاشى تعارض الانتماءات التقليدية مع الهوية الفلسطينية، وتلاشى أيضاً توافقها مع الهوية الإسرائيلية. ولقد أثبت بحث الطلاب الثانويين العرب (١٩٨٨) أيضاً، المشار إليه سابقاً، أن الهويات التقليدية (المحلية، الحائلية، الطائفية) لم تعد ترتبط بالهوية الفلسطينية للعرب في إسرائيل، ولا بهويتهم الإسرائيلية. وهكذا، فإن الهوية الفلسطينية التي كادت تقتصر في الماضي غير البعيد على أوساط العرب "العصريين" أو "التقدميين" أو "التحرريين"، إذا صح استخدام مثل هذه التعبيرات، فقد بدأت في العقد الأخير تخترق الحواجز القديمة، وتنفذ إلى أوساط العرب التقليديين والمتدينين أيضاً. ويوضح الجدول رقم ٥ معاملات الارتباط بين مختلف الهويات، وبين كل من الهوية الفلسطينية والهوية الإسرائيلية، للمواطنين العرب في إسرائيل.

^{٢٤} Smooha, *Arabs and Jews in Israel*, op.cit., p. xvi.

ومن أجل تفسير اختفاء التعارض بين الهويات التقليدية والهوية الوطنية، يطرح السؤال التالي نفسه: هل أصبح التقليديون أكثر وطنية، أم أن الوطنيين أصبحوا أكثر تقليدية (تديناً، حمائية... إلخ)، أم أن كل فريق تأثر بالفريق الآخر وتقدم نحوه؟ من الصعب، طبعاً الإجابة عن هذا السؤال. لكن تلاشي انسجام الهويات التقليدية مع الهوية الإسرائيلية للعرب، واستمرار تعارض الهوية الأخيرة مع هويتهم الفلسطينية، يدفعاننا إلى الاعتقاد أن التحول الأكبر قد حدث بين التقليديين، إذ أصبح هؤلاء أكثر فلسطينية مما كانوا عليه سابقاً؛ أي أن الشعور الوطني الفلسطيني قد تعزز في السنوات الأخيرة، حتى أنه بدأ يتغلغل بين فئات العرب التقليديين والمتدينيين.^{٢٥}

يبدو أن ظهور الحركة الإسلامية، في العقد الأخير، قد ساهم في اختراق التيار الوطني الفلسطيني أوساط التقليديين والمتدينيين. فقد أكدت الحركة أن العرب في إسرائيل "يعيشون في إسرائيل"، لكنهم ينتمون إلى الشعب الفلسطيني. وهذا، طبعاً، بالإضافة إلى انتمائهم إلى الأمتين العربية والإسلامية. وفي دراسة ميدانية عن مؤيدي الحركة الإسلامية في إحدى القرى العربية في الجليل، تبين أن الشعور الفلسطيني لدى مؤيدي هذه الحركة لا يقل عن، إذا لم يزد قليلاً على، الشعور الفلسطيني لدى غيرهم من السكان. فرداً على سؤال "لو كنت خارج البلاد وسئلت من أنت، ماذا كنت تجيب؟" أجاب ٥٣,٩٪ من مؤيدي الحركة في العينة: "فلسطيني" أو "عربي فلسطيني"، في مقابل ٤٤,٥٪ من غير المؤيدين الذين أجابوا الجواب نفسه.^{٢٦}

^{٢٥} Mi'ari, "Traditionalism and Political Identity of Arabs in Israel," *op.cit.*

^{٢٦} ميعاري، "الحركة الإسلامية في إسرائيل"، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

الجدول رقم ٥
معاملات ارتباط بين هويات مختلفة للفلسطينيين
في اسرائيل، ١٩٧٦، ١٩٨٨ *

١٩٨٨			١٩٧٦		
بحث الطلاب الثانويين			بحث خريجي الجامعات		
اسرائيلي	عربي	فلسطيني	اسرائيلي	عربي	فلسطيني
٠,٠٥ -	٠,١٩	٠,١٦	٠,٣٨	٠,٢١	٠,١١ -
٠,٠٤	٠,١٢	٠,٠٤	٠,٦٤	٠,٠٨ -	٠,٣٢ -
٠,٠٠	٠,٠١	٠,٠٤	٠,٦٩	٠,١٥	٠,٣١ -
٠,٠٢ -	١,٠٠	٠,٣٦	٠,٠٤	١,٠٠	٠,٧٩
٠,٣٧ -	٠,٣٦	١,٠٠	٠,٤٧ -	٠,٧٩	١,٠٠

هويات تقليدية:

يشعر بالانتماء الى مدينته او قريته
يشعر بالانتماء الى حمولته
يشعر بالانتماء الى ديانتته

هويات غير تقليدية:

يشعر انه عربي
يشعر انه فلسطيني

المصدر: محمود ميخاري، «الهوية الدينية وعلاقتها بالهويات الأخرى بين الفلسطينيين في اسرائيل»، ورقة قدمت في ندوة الدين في المجتمع العربي التي عقدتها الجمعية العربية لعلم الاجتماع في القاهرة، نيسان [أبريل] ١٩٨٩، ص ٦ - ٧.

* معاملات الارتباط في بحث خريجي الجامعات هي من نوع Monotonicity Coefficients، وفي بحث الطلاب الثانويين Pearson Correlation Coefficients. القيمة العددية للمعاملتين متشابهة وهي تتراوح بين ١+ و ١-، الأولى تمثل ارتباطا طرديا تاما والثانية تمثل ارتباطا عكسيا تاما. أما قيمة الصفر فتعني انعدام الارتباط.

الجدول رقم ٦

إجابات مؤيدي الحركة الإسلامية وإجابات غير المؤيدين عن سؤال

”لو كنت خارج البلاد وسئلت من أنت، ماذا كنت تجيب؟“، ١٩٨٩ (نسب مئوية)

غير المؤيدين	مؤيدو الحركة الإسلامية	
٣١,٥	٥,١	إسرائيلي أو عربي – إسرائيلي
١٨,٥	١٧,٩	عربي
٤٤,٥	٥٣,٩	فلسطيني أو عربي فلسطيني
–	٢٣,١	مسلم، مسلم عربي أو مسلم فلسطيني
٥,٥	–	فلسطيني من إسرائيل
١٠٠	١٠٠	المجموع
٥٤	٣٩	العدد

المصدر: محمود ميعاري، ”الحركة الإسلامية في إسرائيل“، شؤون فلسطينية، العدد ٢١٥-٢١٦ (شباط [فبراير] – آذار [مارس])، ص ١١.

هوية فلسطينية – إسرائيلية؟

تشير نتائج البحثين اللذين أجريناها على خريجي الجامعات العرب (١٩٧٦)، والطلاب الثانويين العرب (١٩٨٨)، والبحث الذي أجراه نديم روحانا على عينة من المواطنين العرب البالغين (١٩٨٢)، إلى تعزز الهوية الفلسطينية لدى العرب في إسرائيل، وتراجع هويتهم الإسرائيلية، منذ أواسط السبعينات حتى اليوم. كما تشير هذه النتائج إلى أنه لم تتبلور بين الفلسطينيين في إسرائيل هوية ”فلسطينية – إسرائيلية“؛ إذ إن نسبة قليلة جداً من العرب (٤٪ – ٦٪) تعرّف نفسها بأنها ”فلسطينية – إسرائيلية“ (أنظر الجدول رقم ٣). ومن ناحية أخرى توصل سامي سموحة، من خلال الاستطلاعات المقارنة التي أجراها على المواطنين العرب، إلى نتيجة مغايرة فحواها أن ”فلسطينية الهوية“ لدى العرب في إسرائيل قد فشلت في إضعاف البعد الإسرائيلي في تلك الهوية.^{٢٧} كذلك، فقد استنتج سموحة أن ”الهوية الإسرائيلية غير الفلسطينية“ و”الهوية الفلسطينية غير الإسرائيلية“، قد تراجعتا بين سنة ١٩٧٦ وسنة ١٩٨٥. وفي المقابل، فإن ”الهوية الفلسطينية الإسرائيلية“ قد ”صعدت صعوداً مثيراً.“^{٢٨} ويوضح الجدول رقم ٧ تصنيفات الهوية لدى سموحة، والنتائج التي توصل إليها.

^{٢٧} Smooha, *The Arab Minority in Israel: ...*, op.cit., p. 87.

^{٢٨} Ibid.

الجدول رقم ٧
أنماط الهوية الرئيسية للعرب في إسرائيل
في استطلاعات سامي سموحة، ١٩٧٦ و ١٩٨٨

١٩٨٨	١٩٨٥	١٩٨٠	١٩٧٦	
٣٣	٣٢,١	٤٥,٤	٤٢,٥	إسرائيلي غير فلسطيني (إسرائيلي، عربي إسرائيلي، عربي)
٤٠	٣٨,٧	٢٨,٨	٢٤,٦	إسرائيلي فلسطيني (إسرائيلي فلسطيني، فلسطيني في إسرائيل)
٢٧	٢٩,٢	٢٥,٧	٣٢,٩	(عربي فلسطيني، فلسطيني)
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	المجموع

المصدر: توزيعات ١٩٧٦ و ١٩٨٠ و ١٩٨٥ أخذت من:

Smooha, *The Arab Minority in Israel*, op.cit., p. 67.

توزيع ١٩٨٨ تم استنتاجه من:

Smooha, *Arabs and Jews in Israel*, op.cit., p. xvi.

إننا نتحفظ من النتيجة التي توصل سموحة إليها في شأن "تصاعد الهوية الإسرائيلية - الفلسطينية بصورة مثيرة" بين العرب. ونعلل تحفظنا بالملاحظات المنهجية التالية:

لقد تم قياس الهوية في استطلاعات سموحة، في الأساس، بوساطة سؤال مقفل طلب بموجبه من الذين شملهم البحث تعريف أنفسهم بأحد الخيارات التالية: إسرائيلي، عربي - إسرائيلي، عربي، فلسطيني - إسرائيلي، فلسطيني (أو عربي فلسطيني) في إسرائيل، فلسطيني وعربي فلسطيني (أنظر الجدول رقم ٦). وبعد جمع البيانات أعاد سموحة تصنيف خيارات الهوية إلى ثلاثة أنماط رئيسية هي: إسرائيلي غير فلسطيني، فلسطيني إسرائيلي، وفلسطيني غير إسرائيلي. وفي هذا التصنيف وقع سموحة في خطأين كبيرين: الأول تصنيف خيار "عربي" مع نمط هوية "إسرائيلي غير فلسطيني". وهذا يعني أن تعريف سموحة لنمط "إسرائيلي غير فلسطيني" تعريف واسع جداً، ولا حدود له؛ فهو يشمل كل من لا يعرف نفسه فلسطينياً. وبكلمات أبسط: كأن سموحة يفترض أن كل من هو "غير فلسطيني" في هويته هو "إسرائيلي" (!!)) وهذا بالتأكيد افتراض غير مقبول. أما الخطأ الثاني، فهو تصنيف خيار "فلسطيني في إسرائيل" مع نمط الهوية "فلسطيني إسرائيلي". إننا نعتقد أن ذكر إسرائيل في خيار "فلسطيني في

إسرائيلي "يشير فقط إلى اعتبار إسرائيل موقعاً جغرافياً، ولا يشير ابداً إلى هوية إسرائيلية أو تماثل مع دولة إسرائيل.

وإذا حق لنا تصحيح الأخطاء المنهجية أعلاه، فإن نسبة العرب الذين شملهم البحث في استطلاعات سامي سموحة، والذين تلائمهم هوية "إسرائيلي غير فلسطيني"، تكون قد انخفضت (مثلاً من ٤٥,٤٪ إلى ٣٤,٩٪ في استطلاع ١٩٨٠).^{٢٩} وتكون قد انخفضت أيضاً نسبة الذين تلائمهم هوية "فلسطيني إسرائيلي" (مثلاً من ٢٨,٨٪ إلى ٧,٧٪ فقط في استطلاع ١٩٨٠).^{٣٠} ونعتقد أيضاً أن خيار "فلسطيني في إسرائيل" أقرب إلى هوية "فلسطيني غير إسرائيلي". وإذا صح ذلك، تكون نسبة الذين يلائمهم نمط "فلسطيني غير إسرائيلي"، في استطلاع سموحة، قد ازدادت (مثلاً من ٢٥,٧٪ إلى ٤٦,٨٪ في استطلاع ١٩٨٠ أيضاً).^{٣١} وهكذا، فإن نتائج استطلاعات سموحة، بعد تعديل تصنيفه لخيارات الهوية، تثبت أيضاً أولوية البعد الفلسطيني، وثانوية البعد الإسرائيلي في هوية العرب في إسرائيل. وهي تثبت أيضاً أن هوية "فلسطيني - إسرائيلي" ما زالت محدودة، وأنها لم تنم "بصورة مثيرة"، كما وصفها سموحة. بعد أن أوضحنا محدودية الهوية "الفلسطينية - الإسرائيلية"، بالاعتماد على تحليل التوزيعات التكرارية للهوية في أبحاثنا وأبحاث سموحة أيضاً، فإننا نضيف الآن أن العلاقة العكسية بين الهوية الفلسطينية والهوية الإسرائيلية تضعف إمكان تبلور هوية "فلسطينية - إسرائيلية". هذه العلاقة العكسية لم تختف في العقد الأخير؛

^{٢٩} لا يتوفر لدينا توزيع إجابات الذين شملهم البحث على خيارات الهوية قبل الدمج في بحثي سموحة ١٩٨٥ و ١٩٨٨. لكن هذا التوزيع يتوفر في بحث ١٩٨٠، وهو كالاتي (بالنسب المئوية):

٤,٦	إسرائيلي
٣٠,٣	عربي إسرائيلي
١٠,٥	عربي
٧,٧	فلسطيني إسرائيلي
٢١,١	فلسطيني (عربي فلسطيني)
٣,٦	فلسطيني
٢٢,١	عربي فلسطيني
١٠٠	المجموع

Smooha, *Arabs and Jews in Israel*, op.cit., p. 88.

^{٣٠} Ibid.

^{٣١} Ibid.

فقد بقي معامل الارتباط سلبياً بين الهويتين (أنظر الجدول رقم ٥). وهذا يعني أن العرب الذين يشعرون بأنهم فلسطينيون لا يشعرون، عامة، بأنهم إسرائيليون. والعكس صحيح. ويبدو أن الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، والطابع اليهودي - الصهيوني لدولة إسرائيل، وما يرافق ذلك من تمييز قومي ضد المواطنين العرب، هذه الأمور كلها تغذي تطور هوية فلسطينية - إسرائيلية مشتركة وتعوقة.

الخلاصة

أوضحنا في هذه الدراسة تعزّز البعد الفلسطيني، وتراجع البعد الإسرائيلي، في هوية الفلسطينيين في إسرائيل. ففي حين أن هذه الهوية كانت، في الأساس، "عربية - إسرائيلية" حتى حرب ١٩٦٧، انقلبت بعد ذلك - ولا سيما بعد حرب ١٩٧٣ - فأصبحت في الأساس، فلسطينية أو "عربية فلسطينية". ولقد تعززت الهوية الفلسطينية بصورة خاصة في العقد الأخير، حين اخترقت هذه الهوية الانتماءات التقليدية مثل: القبيلة (أو الحمولة)، والمنطقة الجغرافية، والطائفة الدينية. إن هذه الانتماءات الضيقة التي شكلت في الماضي البعيد، والقريب أيضاً، "عوامل تجزئة" للانتماء الأوسع،^{٣٢} قد انفتحت أمام تيار الهوية الفلسطينية المتجددة. ويبدو أن ظهور الحركة الإسلامية في إسرائيل، التي أكدت انتماء العرب في إسرائيل إلى الشعب الفلسطيني، قد ساهم في هذا الاتجاه.

وقد انعكس تعزّز الهوية الوطنية بين الفلسطينيين في إسرائيل بزيادة تضامن هؤلاء مع أبناء شعبهم الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، خلال الانتفاضة، فأعلنوا بضعة أيام إضراب، ونظموا العديد من الاجتماعات والمسيرات الشعبية تضامناً مع الانتفاضة، وجمعوا التبرعات والمواد الغذائية والطبية لإغاثة إخوانهم المنتفضين في الضفة والقطاع، الذين طبقت سلطات الاحتلال ضدهم العديد من ممارسات القمع والتجويع.

ناقشنا في هذه الدراسة، أيضاً، النتيجة التي توصل سامي سموحة إليها في شأن تراجع الهوية "الإسرائيلية غير الفلسطينية" والهوية "الفلسطينية غير

^{٣٢} يعتبر حليم بركات الانتماءات التقليدية عوامل تجزئة للانتماء العربي العام. لكن يمكن رؤيتها أيضاً كعوامل تجزئة للانتماء الوطني في كل قطر عربي. أنظر: حليم بركات، "المجتمع العربي المعاصر" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤)، ص ٣٣ - ٤٩.

الإسرائيلية"، وتساعد الهوية "الفلسطينية - الإسرائيلية" بين الفلسطينيين في إسرائيل. ويبدو أن سموحة قد توصل إلى هذه النتيجة بسبب خطأ منهجي وقع فيه، وهو تصنيف خيار "عربي" مع هوية "إسرائيلي غير فلسطيني"، وتصنيف خيار "فلسطيني في إسرائيل" مع هوية "فلسطيني إسرائيلي". إننا نعتقد أن خيار "عربي" لا يلائم إياً من الأنماط الثلاثة المذكورة، وأن خيار "فلسطيني في إسرائيل" أقرب إلى نمط "فلسطيني غير إسرائيلي"؛ إذ إن مصطلح "إسرائيل" هنا لا يشير إلى هوية إسرائيلية بل إلى موقع جغرافي، أو عنوان، فقط. وإذا صح ذلك تكون استطلاعات سموحة، أيضاً، قد أثبتت سيطرة البعد الفلسطيني في هوية العرب في إسرائيل. إننا نتفق مع سامي سموحة على أن الفلسطينيين في إسرائيل أصبحوا، في الفترة الأخيرة، أكثر تسيّساً من حيث تصعيد نضالهم، ومن حيث بروز الفئوية السياسية أو التجزؤ الفئوي. وقد برزت بوادر التصعيد في النضال منذ أواخر السبعينات. ففي تلك الفترة، تركز النضال ضد مصادرة الأراضي، ثم تكثف من أجل توسيع مسطحات القرى العربية، والموافقة على الخرائط الهيكلية لهذه القرى، وإدخال المناطق العربية ضمن مناطق التطوير، وفرز مناطق صناعية وإقامة البنية التحتية الملائمة للتصنيع، وتشجيع التعليم، وخصوصاً التعليم المهني. وفي الثمانينات، بدأ العرب يعبرون عن هذه المطالب بمفاهيم سياسية، ويجهرن برفضهم للموقف الذي "خصّص" لهم في دولة إسرائيل. إنهم يعترضون على تعريف الدولة، وعلى صبغتها الدينية - القومية، ويطالبون بحقهم في المساواة مع الأكثرية، باعتبار أن الدولة ثنائية القومية.^{٣٣} وبالنسبة إلى الفئوية أو التجزؤ، فمن الواضح أن التعددية السياسية قد تعمقت لدى الجماهير العربية في إسرائيل. وتنعكس هذه التعددية بوجود تيارات وتنظيمات سياسية مختلفة، تتراوح توجهاتها بين قبول الأمر الواقع وبين رفضه. ويمثّل الأعضاء العرب في الأحزاب الصهيونية القابلين بالأمر الواقع، بينما تمثل حركة "أبناء البلد" والحركة الإسلامية الراضين له. وهناك تنظيمات أخرى عديدة تتوسط بين هذين الاتجاهين، مثل: لجنة رؤساء المجالس المحلية العربية، والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، والقائمة التقدمية للسلام، والحزب الديمقراطي العربي. من ناحية أخرى، فإننا لا نتفق مع رأي سموحة القائل إن العرب يتجهون نحو "الأسرلة" التي تنعكس، بحسب رأيه، بمعرفة اللغة العبرية والاختلاط باليهود والتأثر

^{٣٣} حيدر، "أشكال التعبير السياسي..."، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

بالقيم ووسائل الإعلام الإسرائيلية. إننا نشك في صدق هذه المؤشرات؛ فهي لا تقيس، كما نعتقد، هوية إسرائيلية بل تقيس شيئاً آخر يمكن تسميته "التأثر الثقافي". ومن الواضح أن المرء قد يتأثر بثقافة معينة، من دون أن يشعر بالانتماء إليها أو إلى أهلها. من الواضح أن هنالك عوامل موضوعية تعوق، وربما تمنع، عملية "الأسرلة" في الفترة الأخيرة. وأهم هذه العوامل استمرار الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وتعريف إسرائيل كدولة يهودية - صهيونية وما يرافقه بالضرورة من تمييز قومي ضد المواطنين العرب. إن استيعاب أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود في إسرائيل يستوجب مصادرة أراض عربية، وفصل عمال عرب من أماكن عملهم، وتقليص ميزانيات السلطات المحلية العربية؛ والقائمة طويلة. صحيح أن هذه العوامل لم تمنع تيار "الأسرلة" بين المواطنين العرب في العقدين الأولين لقيام إسرائيل. ويعود ذلك إلى أن العرب في تلك المرحلة قد تقبلوا الواقع السياسي الجديد كما هو، لأنهم كانوا أقلية محبطة، وضعيفة، ومن دون قيادة، ومفرقاً بعضها عن بعض، ومقطوعة عن العالم العربي والعالم الخارجي. في المرحلة الأخيرة، اختلف تماماً وضع العرب في إسرائيل؛ فتوحدوا وتعلموا وتنظموا وأصبحت لهم قيادة، وانفتحو على شعبهم وأمتهم والعالم، وأخذوا يتضامنون معنوياً ومادياً مع شعبهم الفلسطيني، ويعترضون علناً على طابع الدولة اليهودية - الصهيونية. ويبدو أن هذا الوضع الجديد يشكل أرضية خصبة لـ"الفلستنة" لا لـ"الأسرلة". ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>